مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع JALHSS
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences – JALHSS
ISSN: 2414 – 3383 www.jalhss.com
العدد (5) نيسان- ابريل 2016

المؤرخ زينوفون يدون اخبار ملوك فارس

أ.م.د. مهدية فيصل صالح الموسوي
كلية التربية (ابن رشد) – جامعة بغداد
بغداد - العراق

الخلاصة

المؤرخ زينوفون من المؤرخين الكلاسيكيين القلائل الذين حفظت اعمالهم بعد هيرودوت وثوكيديديس وهو يتميز بجانب قدراته التاريخية بمعرفته بفنون كثيرة من المعرفة كالاقتصاد والاجتماع والسياسة والشؤون العسكرية ، اسمه كسنوفون بن كريلوس ولد في مدينة اثينا سنة 430ق.م او 435ق.م من عائلة نبيلة ثرية ، انظم سنة 401ق.م الى جيش المرتزقة الاغريقي الذي جمعه الامير الاخميني كورش صغير في سادريس ليحارب به اخيه الملك ارتحششتا الثاني وينتزع منه العرش الاخميني ، وبعد مقتل الامير كورش الصغير وبعد ان دبرت مؤامرة قتل فيها كبار قادة الجيش الاغريقي اختير زينوفون ، ليقودهم الى طريق العودة الى بلاد اليونان ،وكان ذلك في ربيع سنة 400 ق.م. وقد خلد اخبار هذه الحملة في تاريخه الشهير (أناباسيس Anabasis) او (الصعود) ، هذا الكتاب من الكتاب التاريخية ذات الشهرة العالمية فقد احتل مكانة مهمة لاسيما في بلاد اليونان حتى قيل انه فتح نافذة واسعة امامهم اطلوا منها على حضارات الشرق القديم ، وكان من جملة الاسباب التي شجعت الاسكندر المقدوني على التوسع في مناطق الشرق القديم ، اما اهميته بالنسبة لتاريخ العراق فتكمن فيما تناوله من دراسة لأحواله الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد حيث ترجم هذا الكتاب عن النسخة الانكليزية الاستاذ يعقوب افرام منصور سنة 1984. ويعد هذا الكتاب سجل تاريخي معاصر للأحداث التي مرت بها الامبراطورية الأخمينية بعد وفاة دارا الثاني وصراع اولاده على العرش واشار في ثنايا ذلك الى نظام التعليم في فارس في مراحله المتعددة ـ، كما امتدح فيه اخلاق كورش وذكر صفاته بتفصيل كبير ،غير ان ما يؤخذ عليه انه كان يميل الى الوصف والعرض العام للتاريخ فلم يكن باحثا عميقا يهتم بالتحليل الدقيق والتفسير المنطقي للأحداث التاريخية.

يعتبر المؤرخ زينوفون من المؤرخين الكلاسيكيين القلائل الذين حفظت اعمالهم بعد هيرودوت وثوكيديديس وهو يتميز بجانب قدراته التاريخية بمعرفته بفنون كثيرة من المعرفة كالاقتصاد والاجتماع والسياسة والشؤون العسكرية[1] ، اسمه كسنوفون بن كريلوس ولد في مدينة اثينا سنة 430ق.م او 435ق.م من عائلة نبيلة ثرية ، كان في بداية شبابه من اتباع الفيلسوف اليوناني سقراط (496-399ق.) ومن معتنقي افكاره[2] ،غير انه مال الى الحياة العسكرية اكثر من اهتمامه بالفلسفة ولذلك انظم عام 401ق.م الى جيش المرتزقة الاغريقي الذي جمعه الامير الاخميني كورش صغير في سادريس عاصمة مملكة ليديا في اسيا الصغرى ليحارب به اخيه الملك ارتحششتا الثاني وينتزع منه العرش الاخميني ، وبعد مقتل الامير كورش الصغير في المعركة التي جرت بينه وبين اخيه في كوناكسا شمال بابل وبعد ان رفض الجيش الإغريق دعوة الملك بالاستسلام وبعد ان دبرت مؤامرة قتل فيها كبار قادتهم قرروا العودة الى بلادهم واختاروا لقيادتهم قائدا من بينهم وهو زينوفون ، ليقودهم الى طريق العودة الى بلاد اليونان ، فسار بهم عبر المناطق الجبلية الوعرة في شمالي العراق وشرقي الأناضول حتى اوصلهم الى مدينة ترابيزوس على البحر الاسود وكان ذلك في ربيع عام 400ق.م. وقد خلد اخبار هذه الحملة في تاريخه الشهير (أناباسيس Anabasis) او (الصعود) اي التوغل في اعالي الشرق داخل قلب اسيا الصغرى والى قلب الامبراطورية الاخمينية.

الواقع ان هذا الكتاب من الكتاب التاريخية ذات الشهرة العالمية فقد احتل مكانة مهمة لاسيما في بلاد اليونان حتى قيل انه فتح نافذة واسعة امامهم اطلوا منها على حضارات الشرق القديم ، وكان من جملة الاسباب التي شجعت الاسكندر المقدوني على التوسع في مناطق الشرق القديم ، اما اهميته بالنسبة لتاريخ العراق فتكمن فيما تناوله من دراسة لاحواله الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد . ترجم هذا الكتاب عن النسخة الانكليزية الاستاذ يعقوب افرام منصور سنة 1985

الكتاب يتكون من سبعة اقسام ، كل قسم يضم عدد غير متساو من الفصول، فالقسم الاول يتكون من عشرة فصول تناول فيها التعريف بالامير كورش الصغير والاسباب التي دفعته الى منافسة اخيه على العرش ، وسلوكه وانحيازه الى جانب اسبرطة وخططه لتكوين جيش يساعده في حربه القادمة مع اخيه، ثم مسيرته بذلك الجيش من سادريس في اسيا الصغرى الى قرية كوناكسا على مقربة من بابل ، ثم اورد لنا تفاصيل المعركة التي سميت باسم الموقع الذي دار بها الصراع بين الاخوين والنتيجة التي اسفرت عنها. والقسم الثاني الذي شرح فيه وضع الجيش اليوناني بعد مقتل الامير كورش فيتكون من ستة فصول ، وتحدث في القسم الثالث الذي بدوره ضم خمسة فصول عن قرار الجنود الاغريق بتوليه امر قيادتهم والرجوع بهم الى ارض الوطن بعد ان تمكن الاخمينيين بمؤامرة مدبرة من قتل كبار قادتهم، فسار بهم الى شمال نهر دجلة ذاكر المناطق التي مر بها اثناء سيرهم وما يمر بها من انهار واصفا عرضها وعمقها وروافدها بدقة وكذلك ما بني حولها من اسوار واصفا المادة التي بني بها هذا السور او ذاك وطوله وارتفاعه وكذلك الاقوام الساكنة لتلك المناطق ، اما في القسم الرابع الذي يتكون من ثمان فصول فذكر فيه تفاصيل مسيرهم وتوغلهم في شمال العراق وما لقوه من مصاعب ومشاق في اثناء اجتيازهم لجبال كردستان حتى دخلولهم الى ارمينيا ثم وصف ما جرى عليه حالهم فيها حتى وصولهم الى مدينة ترابزوس الاغريقية (طرابزون الحالية) في تركيا على ساحل البحر الاسود، وشرح في فصول الاقسام الثلاث الباقية حال جيشه ورغبتهم بعبور البحر بالسفن للوصول الى بلادهم وما خاضوه من معارك مع الاقوام الساكنة على سواحل البحر الاسود في سبيل الحصول على المؤن حتى انه وبعد وصولهم الى مدينة سيراسوس الاغريقية الواقعة الى الغرب من ترابزوس اجرأ استعراض لما تبقى من جيشه وبعد احصاءهم وجد تعدادهم ثمانية الاف وستمئة اما البقية فقد ابيدت اما بالقتال او هلكوا نتيجة لشدة البرد .وبذلك العدد المتبقي وصل البلاد[3].

امتدح زينوفون في كتابه هذا اخلاق كورش فقال عنه انه افضل من يستحق الامبراطورية . ومن جملة ما قاله عنه: انه افضل معاصريه خلقيا واكثرهم رغبة حتى من مرؤوسيه في الاصغاء الى الذين يفوقونه سنا ، وانه اشتهر بشغفه بالخيول وتفوقه في الفنون العسكرية كرماية النبال ورمي الرمح ،وانه عندما تولى حكم اسيا الصغرى كان شديد الحرص على المحافظة على كلمته في اي تحالف او اتفاقية ولذلك وثقت به المدن التي كانت تحت سيطرته [4].

ومن صفاته التي ذكرها وقال ان الناس حفظها له دعائه المالوف بانه يتمنى العيش المديد ليتسنى له ان يكافئ اولئك الذين اعانوه واولئك الذين آذوه . ولذلك فهو في نظره الرجل الذي تمنى العديد من الناس تسليمه اموالهم وحواضرهم وذواتهم[5] .

كورش الصغير هو الابن الاصغر للملك دار الثاني (424-404ق.م) وشقيق ارتحششتا الثاني (ارتاكسركيسيس الثاني) (404-359ق.م) من امهما باريساتيس (Parysatis)[6]، شهد المرحلة الثانية من الحروب البيلوبونيزية الدائرة بين اثينا واسبرطة ، التي حاول والده دار الثاني المساهمة في اذكائها رغبة منه في استعادة كل ما فقدته فارس من المدن الاغريقية في اسيا الصغرى ، ففي سنة 413ق.م هزم الاسطول الاثيني في سيراكوزا[7]، فسار الملك الاخميني دار الثاني لذلك وعهد الى ممثله تيسافيرنس(Tissphernes) حاكم ساردیس(Sardis) [8] مهمة التفاوض مع اسبرطة[9] بالشكل الذي يؤمن عودة المدن الايونية الاسيوية التي كانت خاضعة لاثينا للسيطرة الاخمينية مقابل محاربة الاسطول الاخميني للاسطول الاثيني في البحار الشرقية والقضاء على سلطانها[10] .

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد بقصد توضيح الموقف الاخميني من الحروب الاهلية الدائرة بين اثينا واسبرطة ان الزعيم الاثيني الكبياديس(Alkibiades) الذي كان قد فرّ الى اسبرطة سنة 413ق.م بسبب الخلافات الحزبية داخل اثينا نفسها ولعب دورا اساسيا في خسارة اثينا في سيراكوزا من خلال اطلاع الاسبارطيين على الخطط الاثينية[11]كان قد التقى بتيسافيرنس قبل عقده للاتفاقية مع اسبرطة، وحرضه على عدم مساعدة اسبرطة لان ذلك سيعطيها الفرصة للسيطرة على البر والبحر معا، وهذا ما يجعل مهمته اي (تيسافيرنس) صعبة في القضاء على الجانب الذي يتمتع بالقوة لاسيما وانها(اي اسبرطة) ستسعى الى تحرير يوناني اسيا الصغرى[12].

ومهما يكن الامر فقد عقد اتفاق بين اسبرطة وممثل الدولة الاخمينية تيسافرنيس سنة 411ق.م في ميلتوس (ملطية)[13] غير انه ظل حبرا على ورق حتى تولى حكم مناطق اسيا الصغرى(ليديا وفريجيا وكابدوكيا) كورش الصغير سنة 407ق.م واصبح قائدا عاما للجيش الاخميني في اسيا الصغرى، وكان في ذلك الوقت في السادسة عشر من عمره، فحل بذلك محل تيسافيرنس واصبح مسؤولا عن تنفيذ التحالف مع اسبرطة [14]، ومما يقال عن كورش الصغير انه كان منحازاً بشكل خاص الى جانب اسبرطة، والسبب في ذلك الانحياز هو طموحه ورغبته في الوصول للعرش بعد وفاة أبيه، ومن ثم فان تقديم المساعدة تلك ستضمن له العرفان بالجميل من قبل اسبراطة ومعاونته بأفضل الجنود فيما اذا دخل في صراع مع اخيه الاكبر ارتحششتا الثاني على العرش[15]، وأظهر كورش الصغير نواياه الحقيقية في الوصول الى العرش سنة406 ق.م عندما امر بإعدام اثنين من أبناء اخت الملك دارا الثاني وهما اوتوثوياسيس (Autoboesaces) وميترايوس (Mitraeus) وذلك لأنهما لم يُظهرا له الاحترام اللازم له، فلم يخفيا أيديهما في أكمامهما عند لقائهم به مع العلم أن ذلك لا يحدث إلا بحضور الملك شخصيا[16].

وعن مساعدته لاسبرطة ضد اثينا يذكر انه في الوقت الذي اصبح فيه كورش الصغير حاكما على اسيا الصغرى كان قد تولى قيادة الاسطول الاسبرطي شخصية عسكرية قوية هو لوساندر (Lysander) الذي شكى لكورش عن طريق سفرائه تباطئ تيسافيرنس في مساعدة اسبرطة ، فابلغه كورش بانه سوف يبذل كل غال وثمين من اجل انتصار اسبرطة ، ووعده بأنه إذا لم يكن المال الذي خصصه الملك دارا الثاني لمساعدة إسبرطة كافيا فإنه سيدفع المال اللازم من أمواله الخاصة[17].

وبالفعل ارسل الامير كورش امدادات بحرية وضعت تحت قيادة لوساندر مكنت الاسبارطيون من اخضاع المدن الحليفة لاثينا الواقعة على مداخل البحر الاسود لخنق اثينا تجاريا، كما مكنتهم من تدمير الاسطول الاثيني في موقعة ايجو سبوتامي (Aegospotami) عند مدخل البحر الاسود سنة 404ق.م .وبسقوط الامبراطورية الاثينية انتهت الحروب البيلبونيزية[18].

وفي الوقت الذي كانت فيه المعارك قائمة على قدما وساق بين اثينا واسبرطة استدعي كورش الصغير الى مقر القصر الملكي في سوسة اذ كان والده دارا الثاني على فراش المرض[19]، وكان يرافق كورش في عودته تيسافرنيس الذي كان يعده صديقه وثلاثمائة جندي يوناني من المشاة تحت امرة زينياس الاركادي[20] ، وكان كورش يأمل اثناء وجوده في القصر الملكي نجاح محاولة والدته في اجلاسه على العرش بدلا من اخيه ، ولكنه كان في الوقت نفسه يخطط للقيام بمؤامرة ضد اخيه تمكنه من لاستيلاء على العرش فيما اذا فشلت محاولة والدته ، وحانت ساعة الانتقام بعد ان تولى اخيه ارتحششتا الثاني(404-358ق.م) العرش الاخميني، ففي مراسيم التتويج التي كانت تقام في معبد اناهيتا في العاصمة القديمة بسارجادا كان كورش الصغير ينوي تنفيذ مخططه في اغتيال اخيه اثناء مراسيم ارتداء العباءة الملكية وحسب تقاليد التتويج التي يتأسى فيها الملك الجديد بمؤسس الامبراطورية كورش الثاني ، وقبل ان تبدأ مراسيم الاحتفال بذلك خانه صديقه تيسافيرنس واحضر للملك الجديد ارتحششتا الثاني معلما يسمى مجابيزوس (Megabyzus) وكان معلما لأخيه كورش الصغير ، فوشى ذلك الملعلم للملك الجديد ما كان يعتزم كورش القيام به من مؤامرة ضده ، لذا تم القبض على الامير كورش الصغير ولم ينقذه من الموت إلا توسلات والدته للملك[21].

وما ان عاد كورش الصغير الى مقر حكمه في اسيا الصغرى حتى اخذ يستعد لمنافسة اخيه على العرش، ولتكوين جيش يعينه على تحقيق هدفه عمل الى جانب اهتمامه بالقوات التي كانت تحت امرته على استمالة المنفيين من المدن الايونية التي كانت في الاصل تحت حكم تيسافرنيس ، وارسل الى اخيه الملك ارتحششتا الثاني طالبا تسليم المدن التي تحت حكم تيسافريس له ولا سيما مليتوس(Miletus) التي ظل الاخير يحتفظ بحكمها له ، ولعبت والدته دورا في كبيرا في ذلك المجال ، ولم يلفت نظر الملك ارتحششتا الثاني المؤامرة التي كانت تحاك ضده فظن ان اخيه ينفق امواله ليكون جيشا ضد خصمه تيسافرنيس لاسيما وانه كان يرسل اليه الضرائب المفروضة على المدن التي كانت سابقا تحت حكم تيسافرنيس[22].

ولم يقتصر الامر عند استمالة المنفيين واستقباله لهم بل عمل على تقديم المساعدة الى لبعض من قادتهم في وقت حاجتهم الى تلك المساعدة ، مثال على ذلك انه قدم مساعدة للقائد الاسبرطي كليرخوس (Clearchus) الذي نفي الى ابيدوس [23] وحاول جمع جيش يقاتل به التراقيين شمال الدردنيل فامده كورش بالمال اللازم لاعداد وتجهيز ذلك الجيش ، ولذلك عندما طلب منه الاخير المساعدة توجه كليرخوس الى العاصمة ساردیس على راس جيش من المرتزقة بلغ تعداده الف من الجنود المشاة وثمانمئة من حملة الدروع الخفيفة من تراقيا ومائتين من رُماة السهام من كريت[24].

كما قدم كورش الصغير المساعدة الى أريستيبوس Aristippus التسالي الذي لجأ له طالبا منه نصرته على مناوئيه السياسيين في بلاده ، وراجيئاً منه تزويده بالفين من الجنود المرتزقة وما يكفي لمؤنتهم لمدة ثلاثة شهور فاجاب كورش طلبه وامده بالضعف اذ ارسل اليه اربعة الاف جندي وما يكفي لمؤنتهم لمدة ستة اشهر ، مقابل ذلك شرط عليه ان لايعقد اتفاقا مع مناوئيه السياسيين قبل استشارته اولا، وبدون شك اراد كورش من تقديم تلك المساعدة تكوين قوة عسكرية تسالية تساعده في حربه مع اخيه وبالفعل طلب منه كوررش التوصل الى اتفاق مع اعدائه في بلاده وان يرسل اليه القوات التي ترافقه فاستجاب اريستيبوس لطلبه وارسل اليه صديقه مينون على رأس ألف جندي من المشاة الثقيلة وخمسمائة جندي من حملة الدروع الخفيفة[25] .

ومن اصدقاء كورش الصغير من الساسة الاغريق في البيلوبونيز الذين استجابوا لأوامره في الحضور لسادريس لمساعدته في حملته المزعومة بروكسينوس (Proxenus) الذي قدم برفقة ما يقارب الفا وخمسمئة من مشاة الاسلحة الثقيلة وخمسمئة من مشاة الاسلحة الخفيفة[26]، وكذلك قدم لمساعدته السياسيين الذين نفاهم تيسافرنيس من مليتوس ومنهم سوفانيتوس (Sophaenetus) الستيمفالي مع قوة من جيشه بلغت الف جندي من مشاة الاسلحة الخفيفة ، وسقراط الآشي ومعه خمسمائة جندي من المشاة من حملة الاسلحة الثقيلة وبازيون الميغاري ومعه ثلاثمئة جندي من مشاة الاسلحة الثقيلة ومثلهم من مشاة الاسلحة الخفيفة[27].

ثم جاء دور اسبرطة فاراد كورش ان يقطف ثمار مساعدته التي بفضلها اصبحت زعيمة للعالم الاغريقي بعد انتصارها على اثينا فارسل لها رسله ليذكرها بالخدمات التي قدمها لها ويطلب منها العون والدعم العسكري في حربه القادمة[28] ،ولم تجد الاخير بد سوى تقديم تلك المساعدة لا نها ادركت انها في حالة الرفض فان كورش الاصغر سوف لن يغفر لهم نكرانهم للجميل وسينقلب ضدهم خاصة أن كورش لم يكن قد طلب منهم ثمن مساعدته لهم في الحرب ضد أثينا[29].

وانظم الى حملة كورش ايضاً في ساردیس عدد كبير من المرتزقة الاغريق ممن كانوا في حاجة الى كسب قواتهم بعد ان سرحوا عقب انتهى الحروب البيلبونيزية[30] ولا سيما ان كورش اغراهم بالاجور والمال ، فذكر لهم بان من يتطوع في جيشه فسيدفع له اجره بالوزن الا بالعدد ، ووعدهم بانه سيقدم للمشاة منهم حصانا ، والخيال عربة ، ومن ملك حقلاً فسيعطيه قرية، ومن كان صاحب قرية فسيؤمره على مدينة [31].

ومما يجدر ذكره أن كورش الصغير أخفى الهدف الحقيقي من وراء طلبه لمساعدة اولئك المرتزقة واعلن لهم ان هدفه هو تأديب البيسيديين –وهم قبيلة تعيش في جبال طوروس لم تدخل في طاعة الامبراطورية الاخمينية -، وعلى الرغم أن السفراء الذين أرسلهم كورش لإسبرطة كانوا على علم بهدف الامير كورش، إلا أنه لم يكن لديهم السلطة في التحدث عن غرضه الحقيقي[32].

وما ان تجمعت تلك الحشود التي بلغ عددها مئة الف جندي من الشرق وثلاثة عشر الف اغريقي مرتزق عند الامير كورش في ساردیس حتى ايقن تيسافرنيس ان تلك الاعداد الكبيرة من الجند لا يمكن ان يكون هدفها مقاتلة البيسيديين ، فتوجه مع خمسمئة فارس الى الملك ارتحششتا الثاني الذي ما ان علم بذلك حتى سارع الى اتخاذ التدابير التي تمكنه من مواجهة اخيه [33] .

تحركت الجيوش المحتشد في ساردیس في ربيع سنة 401ق.م باتجاه الشرق ولم تتجه الى بيسيديا الواقعة الى غرب كيليكيا (Cilicia) (قيليقية) [34] في اسيا الصغرى بل اتجهت شمالا ثم شرقا عبر ولاية كيليكيا بحجة اخرى وهي منع ملك كليكيا من التمرد[35]، التي ما ان سمع ملكها سينيسيس (Syennesis) بذلك الزحف نحو مدينته حتى سارع الى ارسال زوجته أبياكسا(Epyaxa) واحد ابنائه مع بعض القادة الى الامير كورش مع هدية عبارة عن مبلغ كبير من المال ، افاد منه الامير كورش في دفع الرواتب للجند ، بينما اتجه ابنه الاخر للملك ارتحششتا الثاني ليؤكد ولائه للملك الاخميني ارتحششتا الثاني ويظهر استعداده بالوقوف الى جانبه ضد اي منافس له في العرش[36], ويبدو ان هذه الازدواجية في الولاء ارد منها حاكم كيليكيا عدم اغضاب كلا الطرفين،فاذا ما بقى احدهم على العرش فانه سيحفظ له ذلك الاخلاص.

وصل الامير كورش بتلك الحشود دون اي عقبات تذكر طرسوس عاصمة اقليم كيليكيا والتقى فيها بحاكمها سينيسيس فقدم له الاخير مبالغ كبيرة من المال بالمقابل وعده كورش ببقائه على حكم الاقليم ومنحه بعض الاشياء التي تعتبر من هدايا الشرف في البلاط [37] ، وبعد عشرين يوما من مكوث الامير كورش في كيليكيا ارتاب الجنود الإغريق من هدف الحملة التي ساورهم الشكوك من انها ستكون ضد الملك ارتحششتا الثاني فرفضوا متابعة السير معه [38]، وبعد ان سأله بعض الضباط عن هدف الحملة الرئيسي، اعلن الامير كورش للجميع أن هدفه هو القضاء على جيش أبروكوماس (Abrocomas) ستراب سورية، ولمواصلة السير معه اغراهم بمزيد من الاجور والاموال ، الامر الذي أدى في النهاية الى استجابة الجنود له[39].

وصل الامير كورش بتلك الجيوش حتى وصل ايسوس(Issos)[40] وبعد ثلاثة ايام من وجوده فيها انضم اليه اسطول اسبرطي مكونة من خمسة وثلاثين سفينة بقيادة بيثاغوراس (Pythagoras) تحمل على ظهرها 700 جندي من حملة الاسلحة الثقيلة تحت قيادة خريسوفوس (Chirisophus)،كما انضم الى تلك الحشود اربعمئة جندي من مرتزقة حاكم سوريا ابروكوماس من حملة الاسلحة الثقيلة [41].

وكان كل تقدم على الارض في اتجاه المشرق يزيد من شكوك الجنود في نوايا الامير كورش ، الا ان كانه يقضي على تلك الشكوك ويقنعهم بمواصلة المسير معه بزيادة ما يدفعه لهم من الذهب لاسيما وانه اصدار عملة جديدة على الطراز الاغريقي لا الفارسي ، اذ رسم على احد وجهها صورة الامير كورش وهو يرتدي الزي الاغريقي ، وحمل الوجه المقابل رسم صوره الاله بان [42]الاغريقي ذي اللحية والقرون والقناع [43] .

تقدم كورش بجيوشه نحو ابواب سوريا التي سارع حاكمها ابروكوماس وبرفقته ثلاثمئة الف جندي كان قد اعدهم للقضاء على ثورة المصريين الى تركها واللاتحاق بالملك ارتحششتا الثاني[44] ، اما الامير كورش فبعد عبوره الاراضي السورية الخصبة وصل الى ثابساكوس (مسكنة في الوقت الحاضر) الواقعة على نهر الفرات وفيها علم بنبأ تقهقر ابروكوماس بعد ان حرق كل القوارب التي كانت له على الفرات حتى لا يمكن كورش من عبور النهر [45].

وفي ثابساكوس اجتمع الامير كورش مع قادة الجيش اليوناني واخبرهم ان هدف الحملة هو التوجه نحو بابل لمواجهة اخيه الملك ارتحششتا الثاني وانتزاع العرش منه ، وترك لهم مهمة اخبار الجنود الذين تحت امرتهم بذلك ،فثار ذلك غضبهم وهاجموا على قوادهم واتهموهم بالخيانة وانهم كانوا على علم بذلك الامر منذ البداية ، غير ان الامير كورش حد من شدة غضبهم بان اغراهم ثانية بالمال فوافقوا على مواصلة السير والقتال معه[46].

وعند دخول الامير كورش الى بابل لم يجد مقاومة تذكر ، بل انه لم يجد اي شيء يدل على وجود اي جيش قد استعد لمواجهته فواصل سيره مع جيوشه عبر الفرات الى منطقة كوناكسا(Cunaxa) الواقعة على بعد 12كم عن بابل ، وفيها جاءته اخبار مفادها ان الملك ارتحششتا الثاني تقدم بجيش كبير لمواجهته، وكان الامير كورش وجنوده قد استعدوا لهذه المعركة بشكل منظم في البداية، اذ قام بتقسيم الجيش إلى فيالق وعهد قيادة الفيالق اليونانية من جهة الميمنة الى القائد كليرخوس، والى جانبه بروكسينوس ثم اليونانيون الاخرون مع مينون على ميسرة الجيش اليوناني ،وجعل قورش من قائده أرياوس قائداً للفيالق الاخمينية في الجناح الأيسر ،اما هو فقد تمركز في وسط الجيش، وأحاط نفسه بستمائة فارس مسلحين بالأسلحة الثقيلة ، ووضع الجميع الخوذ على رؤسهم ما عدا الامير كورش الذي دخل المعركة حاسرا الراس [47] .

اما الجيش الملكي الذي بلغ تعداده اربعمئة الف مقاتل فقد تم تنظيمه على شكل فصائل كل فصيل على هيئة مستطيل كثيف ، تتقدمهم على مسافات متباعدة عن بعضها عجلات حربية مسننة مزودة باسنة رقيقة تمتد بشكل مائل من المحورين الموصلين بين العجلات وكذلك من اسفل مقعد السائق منكسة نحو الارض ، وذلك لبتر ما يتعرض طريقها[48] .

وقبل بدء المعركة التي وقعت في الثالث من شهر سبتمبر سنة 401ق.م[49] طلب كليرخوس من الامير كورش ان يبقى في المؤخرة لئلا يعرض نفسه للخطر ، وقيل ان كورش رد عليه قائلاً : " ما هذا الذي تقترحه يا كليرخوس ؟ اتريد مني انا الذي اطمع بالامبراطورية ان اعد غير جدير بها " [50]

كان الامير كورش يعرف جيدا طباع الشرق بانه في حالة قتله للملك فان جيوش اخيه سوف تعلن الولاء له لذا امر كليرخوس بالهجوم على قلب الجيش الذي اتخذ فيه اخيه الملك مكانه ، غير ان الاخير كان يخاف ان يترك جناحيه مكشوفة ومن ثم يتعرض الى التطويق ، فرفض اقتراح الامير كورش ورد عليه بانه سيضمن سير الامور سيرا حسنا[51].

وما ان بدأ الالتحام حتى تمكن جيش كورش من المرتزقة الاغريق من تشتيت الجناح الايسر لجيش اخيه ، فسر كورش لذلك التقدم من قبل قواته ، وناداه الذين كانوا معه ملكا ، الامر الذي زاد من حماسه ومن ثقته بالنصر فندفع ومعه ستمئة فارس لمهاجمة قلب دفاع الملك الذي كان يترصد اخاه وغريمه واندفع كورش غير مبال لمهاجمه اخاه[52] الذي ما ان رأى اندفاعه حتى صاح به " يا اظلم الناس واكثرهم حمقا يا عار الاسم الشريف (كورش) ، أجئت هنا تقود شر الاغريق في شر حملة ، تسلب نفائس الفرس ، معتزما قتل سيدك واخيك ، سيد

عشرة الاف خادم كلهم افضل منك ؟ انت ستفقد راسك هنا قبل ان يتسنى لك ان تصيب لمحة من وجه الملك " [53] ، لم يبال كورش لكلام اخيه ورد عليه بان صوب نحو صدره طعنة اخترقت صدره واوقعته من على ظهر جواده[54]، وعندئذ خيل للامير كورش ان ملك اسيا والسيطرة عليها قد اصبح له[55]، واستمر في اندفاعه لمهاجمة حرس اخيه وبينما هو في ذلك اصيب بسهم قاتل انهى حياته،شجع نبأ مقتل كورش الملك ارتحششتا الثاني على النهوض من جرحه وقام بمطاردة الجنود الآسيويين الذين تقهقروا بدورهم شمالا عندما علموا بمقتل الامير كورش[56]، وقيل ان الملك ارتحششتا الثاني قام بنفسه بتقطيع اوصال جثة اخيه ، وامر بالحفاظ على الراس واليد التي سددت له الطعنة،حتى تستخدم في استعراض يعلن فيه عن انتصاره[57].

أما عن الجنود الإغريق فبعد ان رفضوا دعوة الملك ارتحششتا الثاني بالاستسلام[58] ، اوعز الاخير الى قائده تيسافرنس ان يعرض على الجيش الاغريقي تزويده بالمؤنة وقيادته عبر الصحراء والجبال عن طريق اقصر من ذلك الطريق الذي جاءوا منه على أن ترافقهم قوة من جنوده[59] ، وبعد ان وافق قادة الاغريق على ذلك سار بهم تيسافرنيس عبر بابل الى اقليم ميديا ثم عبروا نهر الزاب الاصغر والزاب الاكبر بسلام ، وفجأة دعى تيسافرنيس قادة الجيش الخمسة[60] الى خيمته بحجة التشاور ولما فعلوا ذلك قبض عليهم وارسلهم الى الملك ارتحششتا الثاني ليحاكموا وليعدموا[61].

كان تيسافرنيس يعتقد ان فعلته تلك ستجعل بقية الجند يستسلمون ، الا ان الجنود زادوا عنادا واختاروا قائدا من بينهم وهو زينوفون الذي دون اخبار تلك الحملة في كتابه الصعود ، ليقودهم الى طريق العودة ،فسار بهم شمالا مخترق صحارى وجبال ووديان وعبر بهم انهار وهو يواجه الاخطار من القبائل المعادية ، ومما يدلل على قوة ذلك الجيش المعنوية وعلى نفوذ زينوفون عليهم ان خسارتهم في الارواح كانت قليلة ، وواصلوا مسيرهم مارين الى الغرب من بحيرة وان وعبر وسط اسيا الصغرى ليصلوا مدينة ترابيزوس (Trapezus) على البحر الاسود وكان ذلك في ربيع سنة 400ق.م[62].

ومما يجدر ذكره في الختام ان كورش من جانب كان في نظر اهل فارس اسوأ من اي خائن اخر فقد استعانة بقوة معادية لمهاجمة بلاده ، ومن جانب اخر ان موته كان خسارة كبيرة للدولة الاخمينية فكان بامكانه بما يمتلكه من قوة ونشاط ان يكون واحدا من الملوك الاقوياء يعيد للدولة هيبتها التي كانت لها في عهد كورش الثاني ودارا الاول ، كما كان بمكانه ان يجعل من دويلات المدن اليونانية دويلات متطاحنة تقضي بعضها على بعض بما له من مهارة ومعرفة بوضع الاغريق ومن ثم يسهل الامر على الدولته القضاء على بلاد اليونان .

الهوامش والمصادر

(1) سليم ، احمد امين ، تاريخ العراق ، ايران ، اسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، 2000، ص338.
(2)Oxford Classical Dictionary, (Oxford,1970), http://www.arab-ency.co.

(3) زينوفون ، حملة العشرة الاف "الحملة على فارس" ، ترجمة : يعقوب افرم منصور، العراق ، منشورات مكتبة بسام، 1985م ، ص35.
(4) المصدر نفسه ، ص78 .
(5) المصدر نفسه ، ص79 .
(6)Nichols,Andrew,The Complete Fragments of Ctesias of of Cndus,university of Florid,2008,Books,XVIII,F15a,1.2.
(7) سيراكوزا : او سرقوسة ، اكبر مدينة في شبه جزيرة صقلية وتقع في الجنوب الشرقي منها، اقامها الكورنثيون كمستوطنة اغريقية سنة 734ق.م ، وسرعان ما نمت المدينة وقامت هي بدورها في انشاء مستوطنات جديدة ، وفي عهد جيلون اصبحت زعيمة المدن الاغريقية في صقلية وذلك بعد انتصاره على القرطاجيين في معركة هيميرا سنة 480ق.م،بلغت المدينة ذروة قوتها واتساعها في عهد الطاغية ديونيسيوس الاكبر ، ثم تقلص دور سيراكوزة وتضاءلت اهميتها سنة 212ق.م اذ دخلت تحت سيطرة روما على يد القنصل الروماني ماركيلوس (Marcellus) (مكاوي ، فوزي، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته من اقدم عصوره حتى سنة 322ق.م، دار الرشاد الحديثة ، 1980 ، ص146 هامش رقم (2).
(8) ساردیس : عاصمة مملكة ليديا التي كانت المركز السياسي والحضاري لاسيا الصغرى، استولى عليها الملك الاخميني كورش الثاني سنة 546ق.م واسر ملكها كروسوس (للتفصيل عن ذلك ينظر : هيرودوتس ، تاريخ هيرودوتس ، ترجمه عن الفرنسية : حبيب افندي ، (بيروت : مطبعة القديس جاورجيوس، 1886-1887م) ، الكتاب الاول ، الفقرات 69-70، 77؛ بورتر: هارفي ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1991م) ، ص155.
(9) خنجي ، امير حسين ، تاريخ ماد ، هخامنشى ، بارت ، سلوكي ، ساساني ، كفتار ششم "شاهنشاهي هاخمنش ، جاتشينان خشيارشا "، ص398-399؛ كورت ،آملى،هخامنشيان ، ترجمة: مرتضى ثاقب فر، تهران ، 1387ش ،ص71؛ اولمستد ، أ.ت ، الامبراطورية الفارسية عبر التاريخ ، لبنان ، الدار العربية للموسوعات ، 2012م ، ج2 ، ص94-95.
(10) Chrissanthos,Stefan G, Warfare In The Ancient World "from the Bronze Age to the Fall of Rome, British,2008,P.58;
مكاوي ، تاريخ العالم الاغريقي ، ص171-172.
(11) الناصري ، السيد احمد علي ، الاغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام امبراطورية الاسكندر الاكبر، ط2 ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1976م،ص349.
(12) Miller,Margaret C., Athens and Persia in the Fifth Century BC. Astudy in cultural recerptivity ,Cambridge Universty Press,1997 , p.28.
(13) مليتوس : ملطية ، مدينة قديمة شرق اسيا الصغرى ، عند المجرى الاعلى لتهر الفرات. ملطية المدينة ، الموسوعة العربية www.arab-ency.com
(14)Farrokh,Kaveh,Shadows In The Desert Ancient Persia At War,Great Britain,2007,p.88;
(14) مكاوي ، تاريخ العالم الاغريقي ، ص173-174.
(15) اولمستد ،الامبراطورية الفارسية ، ج2،ص109.
(16) المصدر نفسه ، ج2 ، ص111.

(17)Roy,J,The mercenaries of Cyrus ".Historia ,Vol,16, 1967, p.297.

(18) الناصري ، الاغريق تاريخهم ، ص357.

(19) Roy, op.cit., P.280.

(20) زينوفون ، حملة العشرة الاف ،ص35.

(21) اولمستد ، الامبراطورية الفارسية ،ج2، ص114-115؛ خنجي ، تاريخ ماد ، كفتار ششم "شاهنشاهي هاخمنش ، جاتشينان خشيارشا " ، ص401.

(22)زينوفون، حملة العشرة الاف،ص36-37؛اولمستد،الامبراطورية الفارسية،ج2، ص115.

(23) ابيدوس : هي غير ابيدوس المصرية ، فهي مدينة قديمة في فريجيا في اسيا الصغرى تطل على الجانب الاسيوي لمضيق الهليسبونت(الدردنيل) الذي يربط بحر ايجة ببحر مرمرة. مكاوي ،تاريخ العالم الاغريقي ، ص173هامش رقم (1).

(24) زينوفون ، حملة العشرة الاف ،ص37 ،41.

(25) المصدر نفسه ، ص38.

(26) المصدر تفسه ، ص38 -39 .

(27) المصدر نفسه ، ص39-40.

(28) Miller,Op.Cit,p.40.

(29) Cawkwell,George, The Greek wars the failure of Persia ,Oxford University Press,2005.144; . Roy, op.cit., P.298.

(30) Chrissanthos,Op.Cit,p.68;

(31) بلوتارك ، السير، ترجمة : جرجيس فتح الله ،اربيل ، دار تاراس للطباعة والنشر،2005م ، ج3 ، ص1869.

(32) زينوفون ، حملة العشرة الاف ، ص39؛ الناصري ، الاغريق تاريخهم ، ص365.

(33) زينوفون ، المصدر نفسه ،ص40.

(34) كيليكيا (قيليقية) : مدينة في جنوب شرق اسيا الصغرى ، بين البحر المتوسط وجبال طوروس ، عرفت بـ (ارمينيا الصغرى) (غربال ، محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسة دار العلم ، مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر، 1959م ، ج2، ص1530) .

(35) الناصري ، الاغريق تاريخهم ، ص366.P. A. Rahe, op.cit., P.29

(36) اولمستد ، الامبراطورية الفارسية ، ج2 ، ص116.

(37) زينوفون ، حملة العشرة الاف ، ص46؛ Cawkwell,Op.Cit,P.161

(38) زينوفون ، المصدر نفسه ،ص47.

(39)المصدر نفسه ، ص51-52؛ حسن ، سليم ، مصر القديمة من العهد الفارسي الى دخول الاسكندر الاكبر مصر، مصر، مطابع الدار الكتاب العربي ،د.ت، ج13 ، ص680.

(40) ايسوس : من مدن كيليكيا الواقعة جنوب شرق اسيا الصغرى تشرف على راس الخليج الذي كان يعرف بنفس الاسم (خليج الاسكندرونة في الوقت الحاضر) ، والمدينة تقع في سهل لا يزيد عرضه عن ميلين ويؤدي الى الركن الشمالي الشرقي من سوريا. مكاوي ، تاريخ العالم الاغريقي ، ص222،هامش رقم 3 ؛ ولبر ، دونالدو ، ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة : عبد النعيم محمد حسنيين ، (القاهرة : 1958م) ، ص36 .

(41) زينوفون ، حملة العشرة الاف ، ص53.

(42) بان:او ابولو حسب الميثولوجيا الإغريقية هو إله المراعي والصيد البري والأحراش.يظهر بجلد ماعز وقرون وأرجل ماعز .يصاحب أتباع ديونيسوس كما يصاحب الحوريات .اصله من اركادية ، وتم اشتقاق اسمه من الكلمة اليونانية (باين) التي تعني (يرعى) وكثيرا ما تم ذكره في الأساطير القديمة مصاحباً للأدب الرعوي والموسيقى الرعويي .

(43) اولمستد ، الامبراطورية الفارسية ، ج2 ، ص117.
(44) زينوفون،حملة العشرة الاف،ص54 ؛ اولمستد، الامبراطورية الفارسية ، ج2، ص118.
(45) حسن ، مصر القديمة، ج13 ، ص680.
(46) زينوفون ، حملة العشرة الاف ، ص56 .
(47) المصدر نفسه ، ص72-73؛ كورت ، خامنشيان،ص72.
(48) بلوتارك ، السير، ترجمة : جرجيس فتح الله ،اربيل ، دار تاراس للطباعة والنشر،2005م ، ج3، ص1873؛ الناصري ، الاغريق تاريخهم ،ص366.
(49)اولمستد ، الامبراطورية الفارسية، ج2 ، ص119.
(50) بلوتارك ، السير ، ج3، ص1869.
(51) زينوفون ، حملة العشرة الاف ، ص74، بلوتارك ، المصدر نفسه ،ج3،ص1870.
(52) زينوفون ، المصدر نفسه ، ص75؛ الناصري ، الاغريق تاريخهم ،ص366.
(53) بلوتارك ، السير ، ج3، ص1871.
(54) زينوفون ، حملة العشرة الاف ، ص76.
(55) حسن ، مصر القديمة ،ج13 ، ص682.
(56) بلوتارك ، السير ، ج3، ص1871.
(57) اولمستد ، الامبراطورية الفارسية ، ج2 ، ص119.
(58) زينوفون ، حملة العشرة الاف ، ص93.
(59) المصدر نفسه ، ص106-107 .
(60) هؤلاء القادة هم كل من بروكسينوس البيوطي ، مينون التسالي ، اجياس الاركادي ، كليرخوس الاسبرطي و سقراط الاشي .المصدر نفسه ،ص119.
(61) المصدر نفسه ، ص113- 119 .
(62) بلوتارك ، السير ، ج3 ،ص 1877.